محاضرة القضية والهوية

المحاضرة العامة

التاريخ: 8-10-2024

الجزء الأول من المساق: فلسطين المخيالية أو مقدمات عامة

في عام 1492، حدثان بارزان في التاريخ: سقوط الأندلس واكتشاف أو غزو الأمريكتين. كانت نهاية الحكم العربي أو الإسلامي في الأندلس، وحدث غزو العالم، وهو حدث مفصلي كبير، وأدى إلى تغييرات جذرية في العالم بعد ذلك.

قبل هذا التاريخ، سنتحدث عن الجزء الثاني في المساق، لكن قبل أن نصل إلى ذلك، سنناقش فلسطين المخيالية أو فلسطين في المخيال الديني. نحن في هذا المساق ندرس الهوية والقضية. الهوية تتعلق بالمشكلات المتعلقة بالعناصر مثل المكان والأرض والناس، أما القضية فتتعلق بفواعل الصراع مثل الحركة الاستعمارية والصهيونية. هذان الموضوعان الكبيران في المساق نتناولهما في تداخل كبير.

نبدأ من ما قبل هذا التاريخ، تحديدًا في المخيال الديني. كيف تم رسم فلسطين في المخيال الديني؟ لكن قبل ذلك، سنحاول رسم معالم فلسطين التي تأثرت بهذه التقسيمات، حيث لم تكن التقسيمات قائمة على القوميات، بل كانت تحت إمبراطوريات.

الجزء الثاني هو ما بعد عام 1492 وحتى عام 1905، وهو فترة التحولات في بنية النظام السياسي في العالم التي أدت إلى ظهور الجذور التي تشكل ما نعرفه اليوم بالقضية الفلسطينية والاستعمار اليهودي. بعد ذلك، ننتقل إلى ثلاثة مراحل استعمارية حتى عام النكبة، ثم حتى عام 1974، وبعدها حتى أوسلو، ومن ثم منذ عام 1994 حتى اليوم.

لماذا البداية بفلسطين المخيالية؟

ما يعنيه “المخيال” هنا هو الهوية الدينية، وهناك ثلاثة ديانات رئيسية هي اليهودية، المسيحية، والإسلام. كل واحدة من هذه الديانات لها موقف خاص من فلسطين. نحن نستطيع قراءة موقع فلسطين في هذه الديانات من خلال النصوص الدينية، وهي ليست فقط نصوص فكرية ودينية، بل تشمل أيضًا الأحداث والسلوكيات التي تحدث بناءً على تلك النصوص.

ما الذي يجعل المخيال ليس شيئًا آخر؟ يتم تحديد المخيال من خلال وضع حدود له، بحيث يصبح جامعًا لخصائص معينة ومانعًا لأشياء أخرى. المخيال هو تعريفات نصوغها نحن، ونحن من نضع صفاته. نطلق عليه “المخيال” لأننا نحاول أن نفرز بينه وبين فلسطين في الدين الإسلامي أو غيره من الأديان. وكل ديانة لها “مخيال” خاص بها.

عندما نتحدث عن فلسطين في الإسلام، نحن لا نتحدث فقط عن ما جاء في القرآن أو الأحاديث، بل عن النصوص الدينية أيضًا، بما في ذلك الخطاب السياسي والتجربة التاريخية. هذه النصوص هي أكثر من مجرد نصوص دينية، فهي تشمل التاريخ والتجربة التي مر بها الدين. النص الديني يتفاعل مع الواقع السياسي والتاريخي ويخدم الأهداف السياسية لأناس في فترة معينة.

مكونات المخيال الديني

عندما نتحدث عن فلسطين في المخيال الديني لأي من الأديان، هناك ثلاثة مكونات أساسية: التجربة الدينية، التاريخية، والشرعية السياسية. التجربة التاريخية ليست مقتصرة على زمن النبي، بل تشمل كل ما حدث منذ بداية الدين وحتى اليوم. على سبيل المثال، في معركة بدر، التي كان فيها المسلمون يتغلبون على أعدائهم، لم يكن هناك نص ديني معين يوجه التصرفات، ولكن التجربة التاريخية شكلت ما حدث، والتفسير كان بناءً على المعاملة بالمثل أو القوة.

نحن في هذا السياق لا نقتصر على الرموز الدينية، بل نعتبر فلسطين أرضًا إسلامية يجب تحريرها، والجهاد في الإسلام هو فرض كفاية. الأسماء التي يتم استخدامها للأسلحة، مثل “ياسين” و”زلزال” و”القرآن” و”خيبر”، كلها تحمل بعدًا دينيًا.

النصوص في المخيال الديني

النصوص التي نتعامل معها ليست مجرد نصوص، بل هي آلة محايدة لقراءة التاريخ الديني والسياسي. وبالطبع، لدينا آراء ووجهات نظر في هذه النصوص، وهذه الآراء يمكن أن تكون محورية في تفسير كيف يتم توظيف هذه النصوص لتحقيق أغراض سياسية معينة. على سبيل المثال، إذا رأينا أن إلهًا لا يستطيع القيام بشيء معين، هذا يثير تساؤلات لأن الإله وفقًا للدين يستطيع فعل أي شيء.